

في 15 شباط 2003، انطلق ما يقارب المليون بريطاني إلى شوارع لندن معربين عن معارضتهم لقرار الحرب على العراق. وفي 23 من نفس الشهر، شهدت بريطانيا أضخم تظاهرة برلمانية في تاريخها حين قرر 121 عضواً في مجلس العموم ضد قرار الحكومة خوض الحرب. وفي نفس المضمون، تعالت أصوات الدول الأوروبية الحليفة لبريطانيا - أمثال فرنسا وألمانيا - منددة بقرار بلير أحادياً الإنضمام لبوش في حربه على العراق منافياً بذلك تعاليم طريقة الثالث (حزب العمال الجديد 1997) التي تشدد على لعب دور الجسر الذي يربط بين صفتى الأطلسي والآسي تنادياً بحل متعدد الأطراف للمشاكل الدولية. إن بلير بقراره خوض الحرب عرض وحده مع أوروبا للخطر كما عرض حياته السياسية للفشل الذريع.

بالنظر إلى هذه الخلافية، يكون من الواضح فهمه أن يتمتع بلير عن جر بلاده لحرب تواجه مثل هذه الحدة في المعارضة من كافة الأطراف، إلا أن بلير تحدي الجميع ليقف في صف التراث التاريخي، الولايات المتحدة.

في محاولة لفهم قرار بلير، النجأت لمسمح أولى لتعاليم الطريق الثالث تلك والتي من الممكن أن يكون قد استند إليها بلير في الوصول إلى قراره. لكن ما تكشف عنه البحث هو تناقض واضح بين ما المعايير التي بني على أساسها الطريق الثالث وبين الواقع على الأرض. في بينما تحت تلك التعاليم على نشر القيم الأخلاقية res�احترام المؤسسات الدولية وتبني الحل المتعدد الأطراف للقضايا الدولية واحترام أسس الديمقراطية، نرى أن بلير لم يتقييد بهذه التعاليم في الحرب على العراق بل وناقضها تماماً في بعض الحالات.

هل من الممكن أن يكون بلير متناقضاً في سياساته الخارجية؟ وإن كان هناك تناقضاً حقيقياً، كيف نستطيع تفسيره؟

من خلال البحث، قمت بصياغة الفرضية لتفسير المعضلة وهي أن بلير استخدم الخطاب التعددي والأخلاقي الموجود في تعاليم الطريق الثالث لتجسيد جملة من الذرائع يستطيع من خلالها إقناع شعبه وحكومته والمجتمع الدولي أن ما يقوم به هو الحل الصواب والق Kami. لكن ما يخفي تحت هذه الجملة من الذرائع الأمنية والأخلاقية والدولية دوافع حقيقة جيوسياسية حسب ما يكشفه البحث عند تقييد هذه الذرائع واحدة تلو الأخرى.

وكمنهجية لإثبات هذه الفرضية باستخدام كل من المراجع الأولية والثانوية، استعرضت تلات مدارس في العلاقات الدولية ألا وهي المدرسة المعيارية، والمدرسة التعductive والمدرسة الواقعية وذلك لأن دراسة أولية للسياسة الخارجية البريطانية الموجودة ضمن تعاليم الطريق الثلاث تألف لاحتمالية استخدام هذه المدارس في تفسير هذه السياسة. كما ان هذه المدارس تمتلك القوة التفسيرية القادر على تفسير أسباب الحرب من عدة جوانب.

وبعد تطبيق تعاليم كل من هذه المدارس على قرار بيلير السياسي خوض الحرب، نستنتج أن المدرستين الأولى والثانوية فشلتا في تفسير القرار كلياً لأسباب ذكرها عدم قدرة المدرستين على تفسير انتهاء المنظومة الأخلاقية خلال الحرب وإهمال صوت الشعب والحكومة والمجتمع الدولي مملاً بالأمم المتحدة، بينما توصلت المدرسة الواقعية من خلال افتراضاتها(الانحياز، الرأي العام ، قوة المصالح) التي ربطتها مع فرضية البحث نفسه وأسئلته إلى تحويل كامل للأسباب التي دفعت ببيلير إلى الحرب والتي جعلته لا ينفك جانباً لانتهاكات المسالفة الذكر.

ويخلص البحث إلى أن الأسباب الحقيقة وراء انضمام بيلير للحرب غير أنه بأي شئ آخر تتجسد بمصالح بريطانيا العظمى التي تتجلى في تدعيم العلاقة التاريخية المميزة مع الولايات المتحدة(خصوصاً بعد أحداث 9/11 وهيمنة الولايات المتحدة على الساحة الدولية) وما ينتج عنها من مصالح إقتصادية وسياسية وعسكرية أبرزها تقوية الترسانة النووية لبريطانيا وضمان الوفرة غير المقيدة (بأنظمة سياسية متحدبة كالنظام العراقي) للنقط، مصدر الطاقة الأساسية للدول الصناعية أمثال بريطانيا.